الإيمان

(الأحد العاشر بعد العنصرة متى ١٧: ١٤-٢٢)

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

يا أحباء، الإنجيل الذي سمعناه اليوم في هذا القداس الإلهي، لقد جاؤوا إلى الرسل بمريض ولم يستطيعوا أن يشفوه، فأتوا بالمريض إلى الرب يسوع فشفاه من مرضه، فتساءل الرسل في أنفسهم، وأتوا إلى الرب، وسألوه:" لماذا لم نستطع نحن يارب أن نشفيه؟"، فقال لهم:" لعدم إيمانكم، لأنه لو كان عندكم إيمان كحبة الخردل،- ونحن نعرف أن حبة الخردل جداً صغيرة- لكنتم تستطيعون أن تقولوا لهذا الجبل انتقل من هنا واهبط في البحر لكان"، ويعود ويقول لهم بعد قليل:" لأن هذا الجنس- أي الروح الشرير- لايخرج إلا بالصلاة والصوم".

هذه الحادثة في الإنجيل، وكلام الرب يسوع، يعلّمنا ما هو الإيمان؟ إنّه يتحدث عن الإيمان ويقول لنا جميعاً وللرسل أنّه لو كان عندنا هذا الإيمان الصغير الحقيقي الفعلي لكنّا بكلمة من الكلمات نستطيع أن نصنع العجائب. ما هو الإيمان؟

للإيمان أوجه كثيرة، الإيمان هو هذا التسليم بوجود الرب، وأن الرب موجود ونحن نؤمن به، ونقرّ ونعترف أن الرب هو السيد في حياتنا. هذا وجه من الوجوه التي نستطيع أن نتكلم فيها عن الإيمان. يوجد أوجه كثيرة في الإنجيل، وفي الرسائل، وفي كتابات الرسل أحاديث كثيرة عن الإيمان، يفصّلون فيها ماهية الإيمان ويشرحون لنا ما هو الإيمان.

دعونا اليوم نتوقف عند هذه الناحية من نواحي الإيمان، الإيمان هو أكثر من مجرد تسليم نظري عقلي أن الواحد يقول بشكل نظري في داخله أنّه يوجد إله، هذا الإله هو قدرة إلهية عظيمة ورهيبة ساكنة في السماوات، كما نستعمل في بعض الأحيان هذه التعابير، ونخاف منه ونرهبه لأنه هو الرب القدير الذي يضرب ويبطش، لا يا أحباء، الإيمان ليس هذا، إلهنا ليس هذا الإله، الإيمان هو الإقرار بوجود الإله، صحيح، ولكن ليس هذا الإقرار النظري الفعلي، الإيمان إذا أردنا بشكل من الأشكال ليس تعبيراً فلسفياً عقلياً فقط بأنه يوجد إله هو في السماء ونحن على الأرض ولأننا نخافه ونخشى من الويلات التي قد تأتي علينا فنحن نطلب منه ونطلب رحمته.لا يا أحباء ، الله هو الإله الذي أحبنا وهو الذي خلقنا، الله يقول في الكتاب المقدس: خلق الإنسان على صورته ومثاله، إذا تتذكرون معي في الكتاب المقدس عندما يتكلم عن أيام الخليقة كيف أنّ الله خلق الطبيعة كلها والإنسان، يقول الرب لتكن الشمس على سبيل المثال فكانت، لتكن المياه فكانت...إلخ. كان كل شيء بمجرد النطق بالكلمة لأنه هو الرب الإله فكلمته تصبح مباشرة قولاً

وفعلاً، أما عن الإنسان فكان مثلما تكلم وأبدع سائر المخلوقات بالطبيعة، قال: أخذ تراباً وجبل هذا التراب بيديه ونفخ فيه من روحه، لكي يعلّمنا الكتاب المقدس أن الله ميّز الإنسان عن سائر المخلوقات، قال لتكن الشمس فكانت، وليكن القمر، فكان. ولكن لم يخلق الإنسان بهذه الطريقة، بل إنه جبل الإنسان بيديه وتعب فيه، أخذ تراباً ونفخ فيه من روحه وجعله على صورته ومثاله، إذاً، أكرم الإنسان كرامة لا توصف لا يمكن أن نعبر عن الكرامة التي أعطانا إياها الرب نحن البشر جميعاً لأنه خلقنا بيديه.

نعم، هذا هو الإله الذي نعبده وهذا هو الرب الذي نقرّ بوجوده، وفي تمام الأزمنة نتذكر الرب يسوع الذي أتى وتجسد من مريم العذراء، وعاش بين الناس، وعلّمنا، وافتدانا بدمه الكريم، وتحمّل كل ما تحمّل وهو الإله الخالي من الخطيئة، بُصق في وجهه، أُهين، ضُرب، احتمل كل شيء لأنه أحب الإنسان وأحب كل واحد منا، عندما تقول أننا نؤمن بالله أو نقر بوجود الإله، فإننا نقر بوجود هذا الإله الخالق الذي خلقنا وافتدانا بدمه الكريم، ماذا نريد أفضل من هذا الإله؟ وماذا نريد أعظم من هذا الإله؟ لذلك نحن نردّد ونقول:" أي إله عظيم مثل إلهنا"، الإله الذي نؤمن به ونقرّ بوجوده إنه ليس إله قابع في السماء، نحن لا نتكلم عن الإيمان بشكل نظري، وإنما نتكلم عن هذا الإله الذي أحبنا واشترانا بدمه الكريم ودخل في حياتنا ودخلنا في قلبه، لذلك الرب يسوع يقول مباشرة بعد أن يتحدث عن الإيمان(هذا الجنس لا يخرج إلاّ بالصلاة والصوم) وهذا يعني بكلمة أخرى بأن الصلاة والصوم هما وجه من وجوه التعبير عن الإيمان، وهنا نتعلم أيضاً وجه جديد من وجوه الإيمان وهو الصوم، ما هو الصوم؟ هو أن يمسك الإنسان عن الطعام وعن الخطيئة حباً بالله من أجل الفضيلة لكي يسير مسيرة النور لكي يتقدس في حياته لأنه يطلب ملكوت السماوات وما هو أعظم.

السؤال يا أحباء:هل الواحد من خلال إيمانه بالله مستعد أن يمسك عن شيء ما في حياته، عن ما هو بشع، وأن يحاول أن يلتصق بكل ما هو جميل وبكل ما هو جيد حباً بالله.

إذا كان الواحد منا يقول أنا أؤمن بإله واحد ولكن كان غير مستعد في حياته اليومية، في طعامه، في عمله، في تعامله مع الغير، في كل لحظة من لحظات حياته يكون هذا الشيء نظري كما يقول بالإنجيل" الإيمان بدون أعمال ميت بذاته".

الإيمان هو شيء نعيشه في حياتنا عندما نجعل من الإله الذي نقول أنه موجود. أريد أن تسألوا أنفسكم: ماذا ننتفع إذا قلنا الله موجود والله موجود في السماء ولكنه ليس موجوداً داخل حياتي؟ أنا

أنتفع عندما أجعل من هذا الإله الذي هو موجود منذ الأزل، أنا أتغير، أنا أتقدس، أنا أحصل على كل بركة، أنا أعيش في النور، مهم جداً أن أتذكر هذا الأمر.

والإنسان ينسى هذا الموضوع لنجعل من الله السيد في حياتنا، الصوم والصلاة كما سمعنا في الإنجيل، هل نحن نصوم في حياتنا؟ من منا يصوم؟ هل نحن مستعدون وأمام شهواتنا، أم حبنا لبطننا وللمال وللمركز، أم التعلق بمغريات هذا العالم وما هو في هذا العالم، هل الواحد منا مستعد أن ُيمسكَ؟ هذا هو معنى الصوم، لذلك يقول القديس بولس:" كل شيء يحق لي ولكن ليس كل شيء يوافق". فالإنسان المؤمن يقوم بكل شيء موافق وليس بكل شيء يحق له، لأنه يحق لكل واحد يحل له كل شيء ويستطيع أن يفعل كل شيء، الإيمان في وجه من وجوهه هو الإمساك عن الدنيا وما فيها للتعلّق بالله وللتمسك بالله وللإغتناء بالله، وعندما أكون مستعداً أن أصوم وأمسك وأتعفّف عن الأكل والرذيلة وكثير من الأمور غير اللائقة حباً بالله. ومعنى هذا أن أجعل الرب سيداً في حياتي وليس الطعام أو المال، وهذا هو المهم والجميل في إيماننا، أننا نؤمن بهذا الإله الذي تجسد وأتى إلينا وسكن فينا وأصبحنا في شركة حقيقية معه ونشاركه في حياته.

لهذا يا أحباء، كلنا مدعوون أن نتذكر هذا القول بأنه لو كان لدينا إيمان كحبة الخردل نستطيع أن نفعل العجائب بقوة الله، لأنه عندما يمسك الإنسان ويصلي ويستمطر رحمة الله بالحقيقة فآنذاك نعمة الله هي التي تفعل وهي التي تقدس.

الرب الإله يقوينا جميعاً لكي يجعل الواحد منا من نفسه مسكناً حقيقياً يسكن الرب فيه ويشهد للحق ويكون أداة للحق، لكي يرونا الناس ويمجدوا أبانا الذي في السماوات، هو المبارك وهو الممجد إلى الأبد آمين.